

مستقبل اللغة العربية

بين النحو الذي ندرسه و النحو الذي ننشده

الأستاذ : علي منصوري

قسم اللغة العربية و آدابها

جامعة البليدة 2

الملخص:

يتناول هذا المقال قضية تعليم اللغة العربية و آثار ذلك في الأوساط الجامعية ، و مختلف العراقيل التي تقف في طريق ترقية تعليم العربية بشكل عام و النحو بشكل خاص ، كونه الدعامة الأساسية للنهوض بالعربية أداء و نطقا و كتابة و ممارسة .

و يحاول هذا العرض أن يتعمق في أسباب تخلف الدرس النحوي في الجامعة الجزائرية مما يشكل خطرا كبيرا على مستقبل اللغة العربية خصوصا و أن طلبة أقسام اللغة العربية يواجهون لميدان التعليم و هم يفتقدون القاعدة العلمية و المنهجية لهذه المهنة ، محاولا اقتراح بعض الحلول لذلك من خلال المشاهد في الواقع و التجربة المهنية للأستاذ .

Résumé :

Cet article aborde la question de l'enseignement de la langue arabe et ses effets dans le milieu universitaire, ainsi que les différents obstacles qui se dressent devant l'enseignement de l'arabe en général et sa grammaire en particulier.

Nous tenterons de nous projeter dans l'enseignement de l'arabe à l'Université d'Alger, pour analyser l'échec rencontré par les étudiants durant leur apprentissage de la grammaire. Cette question reste d'actualité vu que ses étudiants sont promis à une carrière dans l'éducation et donc ils vont se retrouver sans une méthodologie de base.

Nous essayerons à la fin de proposer des solutions en nous confrontant à l'expérience sur le terrain de plusieurs Professeurs.

أثبتت لنا سنوات قليلة من الخبرة في تدريس النحو و لعدد غير قليل من الزملاء الأساتذة الحاجة الماسة إلى إعادة النظر في مقرر النحو الذي نلقنه لطلبتنا في الجامعة ، و الفكرة الموجهة في هذا المنظور أننا نلقي في أكثر الأحيان خطابا عقيما ، تطفى عليه الصبغة القواعدية المعيارية المتصفة بالجمود أو بالتكديس ، ما جعل النتيجة حتمية و منتظرة : كما كانت عليه منذ فترة طويلة ، و كما هي الآن ، و كما ستظل أمدا طويلا : و هي عزوف أغلب الطلبة عن الاهتمام بالنحو ، أو عن إدراك الجانب الحيوي الخصب فيه و الذي لم يكن من حظهم أن يكتشفوه ، لأننا لم يكن في مقدورنا أن نعرضه عليهم . و النتيجة الثانية التي تؤرقنا - كفتة من المفروض أنها انبرت لحماية اللغة العربية ، و نشرها خدمة للمشروع الديني و الحضاري الذي نأمل في المشاركة فيه - هي أن ما تقدم من حال النحو التعليمي في الجامعة : لا يخدم اللغة العربية ، إن لم يكن معول هدم لها ، و توفير للطلبة و الناشئين من تعاطي هذا العلم الأصيل .

..... إن أي مساس بالنحو العربي هو مساس بالعربية .

و اللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى التي كتب لها أن تحمل على عاتقها رسائل إنسانية عابرة للأزمان و الأجيال ، و ارتقت بها سنن الكون لتصير لغة النص المقدس الصحيح الباقي ، تحتاج منا لهذا الاعتبار فحسب أن نبحت عن أنجع السبل ، و أكددها علمية و موضوعية ، لتقديمها إلى طلبتنا في الجامعات ، و الذين - لا شك - بدورهم ، سيضطلعون في يوم من الأيام بمهمة نشرها و الدفاع عنها ، انطلاقا من التكوين الصحيح الذي تلقوه ، و الرصيد المعرفي المنهجي الذي تخرجوا به .

هذا تستحقه منا العربية و هي أهل لذلك ، و قد سبقنا العالمون بها القدماء إلى وصفها بأنها أفضل اللغات و أوسعها ¹ ، و وصفها بأنها أشرف اللغات و أبدخها ² ، و وصفها بأنها أودعت خصائص الحكمة و نيطت بعلائق الإتيان و الصنعة ³ .

و قد يكون من وسائل ترقية تعليمها في الجامعة ، و ترغيب الطلبة في الاعتناء بها ، ترقية أهم علومها و أقدمها و أشهرها ، و هو علم النحو العربي ، و الذي يمكننا القول أنه أصيب بحالة أشبه ما تكون بالتضخم المعرفي على مستوى التأليف فيه و في مباحثه ، فنحن نتعجب أيما عجب لبعض المؤلفات التي بقيت تخرج علينا من حين إلى آخر في تلخيص المسائل النحوية ، و تعليم القواعد العربية ، علما أن هؤلاء أقصى ما يمكن أن يبدعوا فيه هو التبسيط الذي لا يخلو من تجاوزات ، أو الإيجاز الذي لا يخلو من قصور ، و كأن هؤلاء لم يدركوا البعدين : الاصطلاحي و المفهومي الثابتين للنحو ، و اللذين لا يسمحان له أن يكون فضاء أدبيا أو مساحة فكرية يطلق فيها العنان للفاضل من القول . و لن نكون مغالين إذا قلنا إن مثل هذه المؤلفات ، رسخت الصفة المعيارية التقنية للنحو التعليمي ، و ستبقى في قابل الأيام مادة ينفر منها الطلبة الجامعيون ، و لا يجدون فيها مرونة العلم و ديناميكيته التي تدفعهم للحصول و مواصلة البحث النحوي .

و ما دام مستقبل اللغة العربية مرهونا بإصلاح النحو إصلاحا علميا و منهجيا ، فإننا بحاجة إلى فهم ثلاث نقاط أساسية :

- 1 - راهن الدرس النحوي في الجامعة .
- 2 - تطوير الدرس النحوي الجامعي و أثره على اللغة العربية .
- 3 - سبل استثمار النحو كآلية للحفاظ على اللغة العربية .

1 - راهن الدرس النحوي في الجامعة :

يعيش تدريس النحو العربي في الجامعة أسوء حالاته و أردى محطاته ، ذلك انه استحال في مخيلة الطلبة مجموعة قوانين يطبعها التكاثر بشكل رهيب في صورة مسوغات الابتداء بالنكرة ⁴ ، و حالات حذف المبتدأ و الخبر وجوبا و جوازا ، مشفوعة أحيانا بأمثلة ليس لها وجود في الاستعمال إلا في كتب النحاة الذين ساقوا الحديث عنها .

و نحن نطمئن اطمئنانا كبيرا إلى الرأي القائل أن هذه القوالبية التي صار إليها الدرس النحوي ما هي إلا إفراز طبيعي لاصطدام العلوم العربية الإسلامية بالفلسفة اليونانية في القرن الثالث الهجري ، في حين عجز هذا المنهج المستورد عن التأثير على الأعمال التي تعتبر باكورة التفكير النحوي العربي ، في صورة جهود الرعيل الأول من نحاة البصرة و على رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي ، لذا فنحن نؤمن بأصالة النحو العربي أو ما يصطلح عليه البعض بالنحو العلمي ، و قد دافع عن هذه الفكرة الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح حيث في نهاية بحثه الموسوم ب النحو العربي و منطق أرسطو يقول : " النحو العربي لم يتأثر في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه و لا في مضمونه التحليلي ، فإنه لا يدين بشيء أصلا فيما ابتناه أول أمره للثقافة اليونانية " ⁵ .

و قد نقل غير واحد من اللغويين العرب جوانب النقص التي يراها الدرس اللساني في الشكل الذي استقر عليه النحو العربي ، بعدما طغت عليه المعيارية و تغلغت في أركانه ذهنية المنطق اليوناني ، شانه شأن النحو الذي شاع في أوروبا قبل ظهور اللسانيات ، و من تلك النقائص أنه كان ذاتيا و لم يكن موضوعيا ، و منها أنه استحال نحوا صوريا و ليس واقعيًا ، و أنه مقصور على التقعيد لعربية أدبية نموذجية متجاهلا واقع النطق و متغيراته ، و أنه في هذا أيضا وضع على أساس تحديد رقعة زمنية و مكانية لم تراع فيها الأشكال النطقية الأخرى ، و أنه لم يميز بين مستويات التحليل اللغوي و خلط بينها

كتداخل النحو و الصرف و الكلام عن الأصوات في البداية قبل الفصل 6 ، و نقائص أخرى لا يتسع المقام لذكرها .

لكننا نرى أن الجهود النحوية التي وصلت إلينا من النحاة العرب ، رغم ابتعادها في العصور المتأخرة عن الدرس الجاد إلا أنها قدمت لنا خدمة جليلة ، لم تزل آلاؤها تغدق على العرب و ستظل ، هي أنها نقلت إلينا الصورة المشرقة للغة العربية ، و التي هي لغة القرآن الكريم و لا يصح قراءته إلا بها ، و لا يستقيم فهمه إلا بمقتضاها ، و للجانب المعياري فيها شيئاً من القداسة و الالتزام التي تضيفها على أداء هذه اللغة ، تجلة لها و صونا لها من أن تنصهر في متغيرات الزمان ، و تتحسر عن لغات هي صور مشوهة للعربية الفصيحة .

لكن يبقى المشكل الوحيد في أن هذا النحو في هيئته التعليمية ، صار عبئاً واضحاً على أبناء العربية ، و صار عبئاً على نفسه بالإغراق في التقاسيم و الاختلافات ، و الاستطراد في الوجوه و الجوازات و الإلزامات ، مما لم يعد له ظهور في العربية الفصيحة التي يتكلمها الناس اليوم ، و يستعملونها في مقامات العلم و الثقافة ، و حتى الشعر و الأدب ، فصرنا نرى أكثر الطلبة حين الدرس يبدي عجزاً واضحاً عن الاستيعاب .

و قد يكون هناك عامل آخر أفقد الدرس النحوي التعليمي حيويته و لذته ، و انعكس على طريقة تعليمه بشكل واضح ، هو هذه المؤلفات المتكاثرة فيه ، منذ ظهور أعمال النحاة التي عولت على القديم و لم تضيف شيئاً ، سوى وضع المتون و الشروح و الحواشي و التعليقات و التقريظات و الاختصارات و التي بين ابن خلدون خطرهما و انها مخلة بالعلم 7 ، ثم أعقبتها في العصر الحديث حركة أخرى أراد أصحابها تبسيط النحو العربي ، طبع فيها العدد الهائل و المهول من الكتب النحوية التي لم يكن لأصحابها الفضل سوى تضخيم المكتبة العربية ، أو التريح من عائدات بيع تلك الكتب ، و التي لم يزد بعضها المتعلمين سوى حيرة و نفورا ، فصدق على هؤلاء النحاة وصف ابن مضاء القرطبي مسألهم النحوية

قائلا : " فتجاوزا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها ، فتوَعَّرت مسالكها ، و وهنت مبانيتها ، و انحطت عن رتبة الإقناع حججها " ⁸ .

و من المؤلم أن نفور الناس لم يعد من المتاهات المتوهمه للنحو و الإعراب ، و إنما صار نفورا من العربية نفسها ، و خطرا داهما يهدد هذه اللغة الشريفة ، يجعلها في نظر كثير من الناس غير قادرة على النهوض بأعباء التواصل المجتمعي عموما و المعرفي خصوصا بل تعدى الأمر إلى محاولات استبدالها بالعاميات عند أطراف ، أو اللجوء إلى لغات أخرى بداعي التقدم الحضاري .

إن الدرس النحوي المقدم للطلبة في الجامعة ، صار ضحية لظاهرة أخرى قد تكون نتيجة طبيعية لما سبق ، و هي ظاهرة الاستهلاك الشكلي في البحوث العلمية المقدمة من طرف الطلبة ، فنحن نلاحظ بأسف شديد ، ميل الطلبة في كل مرة إلى كتابة بحوث نحوية مكررة ، لم يعد البحث فيها يقدم شيئا جديدا من الناحية العملية للجامعة الجزائرية ، كالبحث في الجمل الاسمية و الفعلية أو البحث في المرفوعات و المنصوبات ، و إن أرادوا أن ينزعوا بأعمالهم نزعة خاصة ، طبقوا ذلك على سورة من القرآن كنموذج للدراسة ، هذا عوض أن يبحثوا في مسائل تخدم النحو العربي كالتى تتعلق بتعليميته و سبل تطويره في المدارس التربوية .

و ما دعانا إلى وصفه بالشكلي ، أنهم في أكثر الأحيان يكتبون في ذلك على أساس النقل الحرفي من المؤلفات القديمة و الجديدة ، دون فهم أو إتقان للملكة النحوية و الإعرابية ، لذا فهم يقفون على الظاهر دون نفاذ إلى صميم المبحث النحوي ، أو دراسته دراسة تتسم بالعلمية و الوعي المعرفي .

إن طلبتنا لا يتخرج معظمهم من الجامعة و هم يتقنون النحو و الإعراب ، و هذه حقيقة لا ننكرها ، كما أننا لا ننكر أن معظمهم يتوجه لمهنة تعليم اللغة العربية لأبناء وطننا ، و هذا وضع مزر لا يخدم اللغة العربية لا من قريب و لا من بعيد ، و قد يلجأ القائلون عليهم فيما بعد سواء أولياء أو مفتشين لانتقاد

الجامعة التي سلمتهم تلك الشهادات ، و هذا يضعنا أمام مسؤولياتنا بشكل مباشر و يدعونا لتحملها .

2 - تطوير الدرس النحوي الجامعي و أثره على اللغة العربية :

و من المفروض أن بعض الأساتذة و الباحثين بناء على ما سبق ، ينبرون في بحوثهم و مخابرتهم و ملتقياتهم للبحث عن الحل العلمي و الناجع لتلك الظواهر الخطيرة المحدقة باللغة العربية في مؤسساتنا العلمية على كافة المستويات ، و أن يتفطنوا إلى أن تعليمية اللغة العربية في المدرسة هي إفراز لتعليميتها في الجامعة ، و يتركوا قليلا التساؤل عن آليات تعليم نحو اللغة العربية في المدارس ليلتفتوا إلى تعليمها في الجامعة كيف هو ؟

هذا عوض أن يتوهم بعضهم أن الدرس اللساني الحديث ، و مجالاته التطبيقية يمكن أن تكون خطرا على العربية ، أو يزهدوا فيها بداعي أنها علم دخيل لا يمكن أن نستفيد منه لتطوير اللغة العربية و علومها ، خصوصا و أنه يستخدم في بعض بحوثه أحدث تكنولوجيات المعالجة للغة ، و يمكن استغلالها في تطوير تدريسها ، و قد أكد عبد الرحمن حاج صالح قائلًا إن " تطوير تدريس اللغة العربية في أي مستوى كان لن يتم إلا بالاعتماد على بحوث علمية و ميدانية واسعة النطاق ، ليتبين بها و على أساسها أسباب الضعف الذي أصاب هذا التدريس ، و بالتالي أنواع الحلول المناسبة " ⁹ ، و قد خصص مبحثا كاملا تحت عنوان : أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ¹⁰ .

و يمكن لنا في هذا الصدد أن نعيد النظر في الدرس النحوي الذي نقدمه لطلبتنا ، من حيث إن له خصوصية في المحتوى و المنهج ، و نراجعه منطلقين من اعتبارات كثيرة مستقاة من المنهج اللساني في تناول الظاهرة اللغوية ، و اهم هذه الجوانب في نظرنا و التي من الممكن أن تسهم في ترقية مهارتي نطق و كتابة اللغة العربية لدى الطلبة :

أ - مراعاة الجانب الاستعمالي للغة العربية الفصيحة : نحن نعلم أن اللسانيات الحديثة أولت العناية الفائقة لدراسة المنطوق قبل المكتوب ، وهي في هذا إن كانت لا تقصد المستوى الفصيح في اللغات ¹¹ ، إلا أننا نلاحظ أن طلبتنا لا زالوا ضحية الوهم القائل أن العربية الفصيحة لغة كتابة أكثر منها لغة تكلم و تخاطب ، لذلك نرى أغلبهم لا يكادون يرتجلون حديثا بالفصحى في النقاش العلمي و لا حتى مع تلاميذهم في المدارس إلا بعد سنوات من العمل .

و هذا يمكن معالجته من الناحية النظرية بدراسة متواصلة و جادة للواقع الاستعمالي للغة الفصيحة في المجتمع من جهة و عند المثقفين و وسائل الاعلام و الجامعيين من جهة ثانية ، و مدى مراعاتها للصحة النحوية و أسباب تكرار بعض اللحن عندهم .

و من الناحية العملية بفتح فضاء للطالب خصوصا في الحصص التطبيقية ، ليلقي فكرة أو يوضح مسألة في أي مقياس من المقاييس طوال فترة التكوين الجامعي ، و أن نحارب طريقة عرض البحوث العلمية قراءة من الورق لأن ذلك ليس منه جدوى ، لا من الناحية المعرفية و لا من ناحية ترقية كفاءة التخاطب و البحث لدى الطالب ، و في هذا التوجه أيضا يمكن لنا عن نبحت عن كيفية لترك مجال الانتقاد للطلاب بعضهم بعضا ، لتصحيح الأخطاء النحوية و من ثم معالجتها مرحليا .

و هذه الفكرة قد تكون استثمارا حقيقيا لبعض أفكار لغويينا القدامى و التي لم يتنبه إلى أهميتها إلا بعد تفتح الأوساط العربية على الدرس اللساني ، كمفهوم النحو عند ابن جني الذي تفرد بوصفه أنه : " انتحاء سمت كلام العرب " ¹² ، و خلافا لما شاع بعده من مفهوم كالذي ذكره ابن عصفور ¹³ بأنه : " علم مستخرج بالمقاييس

المستتبطة من كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزاءه التي تاتلف منها " .

و قد وضع لنا أن ابن جني يرى أن تعلم النحو يكون بالممارسة للعربية قبل ان معرفة المقاييس ، و لا يخفى علينا نفاذ بصيرة هذا العالم الفذ لكي يضع هذا المفهوم للنحو و الذي صار موضوع دراسات علمية متقدمة .

و كذلك تعلم نحو العربية بالممارسة فكرة تحدث عنها العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، فيما صار يصطلح عليه حديثا بالمفهوم الخلدوني للملكة اللسانية ، و الذي أكد فيه " أن وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة و يروم تحصيلها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن و الحديث و كلام السلف ، و مخاطبات فحول العرب في أسجاعهم و أشعارهم .. فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ و الاستعمال ، و تزداد بكثرتها رسوخا و قوة " 14 ، و في موضع آخر أننا " لذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين ، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه ، أو ذي مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب ، وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، و العبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي ، وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المفعول من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية " 15 .

و هذا ما نريده من طلبتنا ، و هو أن يولوا عناية للعربية الصافية العالية ، و ذلك بأن نرسخ فيهم ملكة التكلم بها ، و تنمية الطلاقة اللغوية العربية فيهم من خلال الممارسة و التعامل مع نماذج فصيحة و

تكرار ذلك ، و نحن نعلم أن التكرار و المعاودة لهما أثر بالغ في رسوخ التعلم كما أشار إلى ذلك ثورنديك¹⁶ .

هكذا تنمو ملكة الحديث و المشافهة باللغة العربية لدى الطلبة ، و ترتقي محادثاتهم العلمية و الثقافية ، و يكونون عاملا مهما في الحفاظ عليها و صونها من جهة ، و ترقية التعامل بها في جميع المناسبات و الظروف .

ب - تخصيص فرق بحث مختصة لدراسة المقرر الجامعي : و الدروس التي نلقيها على طلبتنا في الجامعة تشتمل على بعض أساسيات النحو العربي ، او لنقل على أهم القواعد المعروفة و المتصلة بالجملة الاسمية و الجملة الفعلية ، غير أنه لا يستوعب حتى جل المسائل المتعلقة بهما فضلا عن الأبواب المهمة الأخرى ، و هذا يدعونا غلى التساؤل عن سبب هذا الاختيار المجحف و القاصر ، خصوصا إذا نظرنا إلى ما سيضطلع الطلبة بتدريسه للتلاميذ في الحياة المهنية .

و القضية هنا لا تتعلق في النظر إلى المقرر من الناحية الكمية ، و إنما من الناحية النوعية ، و نقصد بذلك طريقة عرض الدروس النحوية ، و البحث عن السبل التي تضيف عليها طابع الحيوية و الفعالية عوض الطريقة الإلقائية التي عمقت من الصورة الجامدة للدرس النحوي .

و قد يكون من الضروري هنا توسيع تدريس النحو العربي في فترة التدرج لأقسام اللغة العربية ، لتشمل جميع السنوات (من الأولى إلى الثالثة) ، ليسمح ذلك بإثرائها و الإحاطة بها من جهة ، و تناولها بشكل يراعى فيه مستوى الطلبة و تحصيلهم للمفاهيم .

و ليس القصد أبدا أن تكون هذه دعوة لتيسير النحو العربي على فهم الذين أرادوا في فترة من تاريخ النحو العربي الحديث ، أن يجدوا له شكلا جديدا يتناسب مع التقدم الإنساني ، أو مع أهوائهم الحداثية و التغريبية ، كمثل المحاولات التي ظهرت في مصر متمثلة في الفئة التي

دعت لتبسيط النحو حفني ناصف و مصطفى أمين و علي الجارم و إبراهيم مصطفى¹⁷ ، و الفئة الأخرى التي دعت إلى إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلم ، ثم ذهب بهم الأمر إلى استبدال الفصحى بالعامية¹⁸ .

ج - وضع حدود علمية بين النحو العلمي و النحو التعليمي : و نحن نرى بعض الطلبة يمضون فترات طويلة في مقاعد الدراسة ، دون أن يعرفوا تاريخ هذا النحو و بعض أعلامه و منجزاتهم ، كالخليل و سيبويه و الكسائي و غيرهم ، ممن أسهموا في تأسيس النحو العربي ، و دون أن يدركوا الجهود الجبارة و التي وصفت بالعلمية حتى اكتملت معالم النحو العربي لديهم ، و دون أن يستظهروا عناوين مؤلفاتهم العظيمة ، و اقتصر الأمر عند أغلبهم على معرفة ألفية بن مالك و شرحها ، أو بعض المؤلفات التي كتب لها الانتشار كالنحو الوافي و قصة الإعراب .

و نعلم أن جهود هؤلاء صارت تنتزل منزلة اللسانيات العربية ، أو ملامح ظهور التفكير اللساني عند العرب ، خصوصا المنهج النحوي عند الخليل بن أحمد الذي وصف بالمنهج الرياضي في تناول اللغة بالدراسة .

و لذلك نقترح أن تخصص بعض الحصص تحت تسمية الأصول العلمية للنحو العربي ، أو تاريخ النحو العربي يكون فيها حوصلة لتاريخ البحث اللغوي عند العرب في جميع مستويات التحليل اللساني ، الصوتي و المعجمي و النحوي و غيرها ، خصوصا و أن هذا يبرره أمران :

1 - أن أغلب التخصصات الإنسانية و حتى بعض العلمية ، تدرج ضمن مقرراتها الجانب التاريخي للعلوم التي تقدمها للطلبة و هذا له فائده من وجهة نظر منهجية .

2 - أن النحو العربي كعلم نشأ لحفظ اللغة العربية من الزوال أو الاضمحلال يحتل تلك المكانة العالية بين علوم العربية التي خالطته منذ بداية التأليف فيه .

و هذا يفيد اللغة العربية إفادة عظيمة ، لأنه يوطد العلاقة بينها وبين أبنائها بتأثير فكرة أصالة البحث اللغوي عند العرب ، و يعزز انتماءهم إليها ، و يحرك وازع المحافظة عليها و استمرار خدمتها بالبحث العلمي ، من منظور أن يشعر الطلبة و الباحثون أنهم لبنة في هذا الصرح العظيم الذي ابتناه علماءنا العرب القدامى ، خدمة لها ، و للقرآن الكريم ، و من ثم يشعرون كذلك أن التفريط فيها و في الاهتمام بجهود النحاة العرب القدامى ، هو تضييع للموروث العلمي و انسلاخ من القيم الحضارية و الدينية و القومية .

3 - سبل استثمار المعرفة النحوية كآلية للحفاظ على العربية :

إن المحافظة على اللغة العربية مهمة شريفة و مقدسة قداسة القرآن الكريم ، و الرسالة النبوية ، و مكرمة كرم أصل هذه اللغة و ماضيها المجيد ، و لذلك لا بد أن تصرف لهذه الغاية كافة الطرائق العلمية و الوسائل الحديثة و الجهود المعرفية الحديثة .

و من هذا المنظور ينبغي لنا أن نجعل من علم النحو العربي أداة فاعلة في سبيل النهوض بها ، و إبقائها نقية من أدران الرطانات المعاصرة ، و الأساليب الدونية في التعبير و ترسيخ مكانتها الرفيعة التي تحول دون تفضيل اللغات الأخرى عليها .

إن إعادة الاعتبار لعلم النحو العربي بمناقشة مناهجه التي تأسس عليها ، مناقشة علمية متبصرة ، تجمع بين الفهم العميق للتراث النحوي العربي ، و الإفادة من الدرس اللساني الحديث الذي لا يخلو من شهادات ثمنت ما أنجز فيه من أعمال كالذي حدث مع تشومسكي رائد النحو التوليدي التحويلي ، كل

ذلك سيسهم - لاشك - في تطوير أهم علم من علوم العربية ، و بالتالي تطوير العربية نفسها .

يضاف إلى ما سبق تصحيح مقررات النحو في التكوين الجامعي و ما قبل الجامعي بما يتناسب مع قدرات الأجيال الجديدة ، و بما ييسر لهم مراعاة أحكامه بصفة تدريجية و متابعة ليتحقق لهم السلامة اللغوية ، و الطلاقة التعبيرية بها ، أو بمعنى آخر : الاسترسال فيها دون توجس من الخطأ و اللحن .

مراعاة الصحة النحوية للمنطوق العربي في الدروس و المحاضرات و النقاشات العلمية ، و في الندوات و الملتقيات و المؤتمرات و المناسبات الثقافية ، لأن ذلك كما هو معلوم ينمي الذوق السماعي لدى الطالب الجامعي ، يكون من أكثر الآليات فعالية في تنمية العربية السليمة لديه ، و كما هو معلوم فإن مهارة الاستماع تشارك في العملية التعليمية .

الهوامش:

- ¹ . ينظر صاحبي ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تعليق : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ / 1997 م ، ص 19 .
- ² . صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1987 م ، (ج 9 / ص 233) .
- ³ . ينظر الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، (ج 1 / ص 2) .
- ⁴ . ذكر ابن عقيل في شرحه على ألفية بن مالك أن بعض النحاة أنهى مسوغات الابتداء بالنكرة نيفا و ثلاثين موضعا ، ينظر الكتاب ، بتحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 2 ، 1985 م ، (ج 1 / ص 218) .
- ⁵ . بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، عبد الرحمن حاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص 63 .

- ⁶ . ينظر النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1979 م ، ص 46 - 52 .
- ⁷ . ينظر المقدمة ، تحقيق : عبد السلام الشدادى ، بيت الفنون و العلوم و الاداب ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2005 م ، (ج 3 / ص 211) .
- ⁸ . الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 74 .
- ⁹ . بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، ص 158 .
- ¹⁰ . بحوث و دراسات في علوم اللسان ، عبد الرحمن حاج صالح ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 م ، ص 173 - 243 .
- ¹¹ . يقول فرديناند دي سوسير : " تضم مادة علم اللغة جميع مظاهر الكلام عند الإنسان سواء كان ذلك في المجتمعات البدائية أو المتقدمة ، و في الفترات الكلاسيكية أو المتأخرة ، و لا ينبغي للغوي أن يدرس في كل فترة من الفترات اللسان الصحيح و اللغة المنمقة فحسب ، بل جميع أنواع التعبيرات الأخرى "
- علم اللغة العام ، ترجمة : يوثيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد ، العراق ، 1985 م ، ص 24 .
- ¹² . الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، (ج 1 / ص 34) .
- ¹³ . المقرب ، تحقيق : احمد عبد الستار الجوارى ، عبد الله الجبوري ، ط 1 ، (1392 هـ / 1972 م) ، (ج 1 / ص 45) .
- ¹⁴ . المقدمة ، (ج 3 / ص 259) .
- ¹⁵ . نفسه ، (ج 3 / ص 262) .
- ¹⁶ . ينظر مدخل إلى اللسانيات التطبيقية ، نصر الدين بوحساين ، الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012 م ، ص 50 .
- ¹⁷ . وصف إبراهيم مصطفى حال الطلاب مع النحو العربي بقوله : " و رأيت عارضة واحدة ، لا يكاد يختص بها معهد دون معهد ، و لا تمتاز بها دراسة عن دراسة ، هي التبرم بالنحو ، و الضجر بقواعده ، و ضيق الصدر بتحصيله ، على أن ذلك من داء النحو قديما " .

- ينظر كتابه إحياء النحو ، ط 2 ، القاهرة ، مصر ، (1413هـ/1992 م) ، ص ب
من مقدمة الكتاب .

¹⁸ . ينظر تاريخ الدعوة إلى العامة و آثارها في مصر ، نفوسة زكريا سعيد ، دار نشر الثقافة
بالاسكندرية ، مصر ، ط 1 ، (1383 هـ / 1964 م) ، ص 195 – 206 .
